أسئلة عن الشورى

للعلامة الشيخ

محمد أمان الجامي

رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

نجيب على بعض الأسئلة التي نستحضرها.

في هذه الأيام يكثر الكلام والاستشكال حول الانتماءات الكثيرة وإذا تكرر السؤال حول الانتماءات وشعر شبابنا بالتشويش والبلبلة لهم الحق أن يبحثوا وأن يسألوا، لأن هذه الانتماءات أمرٌ مبتدع ومحدث في هذا البلد، بل عند جماعة المسلمين قديمًا وحديثًا الأصل عدم وجود جماعات إلا جماعةً واحدة، في سلفنا الصالح ما توجد جماعاتٌ إلا جماعةً واحدة التي تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجادة، وقال لهم في آخر حياته عليه الصلاة والسلام: **«تركتكم على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك»**، هذه الطريقة البيضاء والمنهج الأبلج ليس بخافٍ على طلاب العلم ولا يلتبس أمره إلا على من لم يدرس الإسلام، ولا يعرف تاريخ السلف، بل لا يعرف حقيقة ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكل من يتصور تصورًا سليمًا الدين الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، الذي ترك عليه أصحابه، وأصحابه نقلوه إلى التابعين، والتابعون نقلوه إلى تابعي التابعين، ووصلنا بالتواتر، من يتصور هذا الدين تصورًا سليمًا بعيدًا عن الهوى لا يشك أن الانتماءات التي طرأت في صفوف المسلمين أنها انتماءاتٌ محدثة وبدعة، لا يشك في ذلك إلا من نقص علمه أو غلب عليه هواه، ودخلت عليه بعض المؤثرات الخارجية فغيَّرت فطرته وعقله.

عند ما بدأت الفرق تخرج عن الجماعة الكبرى –جماعة المسلمين– الذين تركهم رسول الله عليه الصلاة والسلام على الجادة استنكر الصحابة الذين أدركوا ذلك الوقت، أو الذين أدركتهم الفتن، أول ما بدأت تخرج جماعات وفرق في أواخر عهد الصحابة في عهد علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه الذي امتُحن بهذه الجماعات، خرجت الخوارج، وقبلها القدرية.

الذي يظهر –وإن كان يختلف أهل العلم– في أيهما الأسبق الخوارج أو القدرية، الذي يظهر من التاريخ أن الخوارج أول من خرج، بدليل أن ابن عباسٍ رضي الله عنهما هو الذي استتاب كثيرًا منهم، وعند ما خرجت القدرية قد عمي وكُف بصره، معنى ذلك أن

الخوارج ظهرت قبل القدرية، خرجت الخوارج بشبهٍ تشبه شبه بعض المتطرفين اليوم، أو بعض المتطرفين اليوم كأنهم يأخذون تلك الشبه.

عند ما حصل نزاعٌ بين عليٍ ومعاوية رضي الله عنهم جميعًا وخرجت الخوارج على عليٍ بدعوى أنه حكَّم الناس في كتاب الله وفي أمر الله وفي دين الله، وأنه محا اسمه بأمير المؤمنين، وأنه قاتل قومًا ولم يغنم ولم يسبِ، هذه الشبه الثلاث تعلق بها الخوارج، فخرجوا في مكانٍ يقال حروراء خارج بغداد، فاستشار عبد الله بن عباس في شأن هؤلاء ليذهب إليهم وينصحهم ويعظهم ليرجعوا إلى الجادة، فقال عليٌ: إني أخاف عليك، فقال: لا، عزم ولبس حلته الجميلة وكان رجلاً ذا صورةٍ جميلة وقوي الصوت وله هيبة، ولما لبس حلته فأقبل عليهم أول ما استنكروا استنكروا الحلة، قالوا: يا ابن عباس، ما الذي جاء بك؟ ما هذه التي عليك؟ قال لهم: كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يلبس حلةً أجمل من حلتي هذه، له حلةٌ يتجمل بها للوفود، فأسكتهم، وبعضهم ما كان يرى أن يحاوره، قالوا: إنه قرشي وهم قومٌ خصمون، ولكن أبى إلا أن يدخل معهم في الحوار، فذكروا الأمور الثلاثة، نوجز لأن التطويل يأخذ وقت وهذا تمهيدٌ وليس بمقصود، فحاورهم في الشبه الثلاث فأقنعهم، فتاب من ستة آلاف مقاتل ألفا مقاتل، تاب في وقفةٍ واحدة من ابن عباسٍ معهم، وقاتل عليٌ البقية الباقية.

هذه أول جماعةٍ أو أول فئةٍ خرجت عن الجادة وعلى والي الأمر، وكفَّروا ولي الأمر الصحابي الجليل خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام، الخليفة الرابع علي بن أبي طالب فحاربهم.

وتشيعت الشيعة، وهذا امتحانٌ من الله لعلي رضي الله عنه وأجزل ثوابه، خرجت الشيعة الروافض وألهوه، قالوا: أنت إلهنا، واضطر عليٌ إلى أن يحرقهم بالنار، لأنهم وقفوا موقفًا لم يقفه حتى الخوارج، حيث اتخذوه مع الله إلهًا.

لما رأيتُ الأمرَ أمرًا منكرا *** أججتُ ناري ودعوتُ قنبرا

دعا قنبر خادمه، وخندق لهم، وأجج لهم النار، فحرَّق رؤساءهم الروافض أشر خلق الله بعد اليهود والنصارى، بل بينهم وبين اليهود شبهٌ عظيمٌ جدًا لمن يدرس تاريخهم ويقارن بينهم.

فخرجت القدرية منكرين القدر، وزاعمين بأن كل عبدٍ من عباد الله من الملائكة والجن والإنس كل إنسان يخلق أفعال نفسه الاختيارية، فالله ليس بقادرٍ على أن يخلق أفعال العباد، بل العباد يخلقون أفعال أنفسهم، كل هؤلاء استنكرهم الصحابة الذين حضروا ذلك الوقت، هذه هي الفرق الثلاثة الكبرى التي ظهرت في أواخر عهد الصحابة، ثم تبع ذلك في عهد التابعين ظهور الجهمية والمعتزلة، وأخيرًا الأشعرية والماتريدية.

هذه هي الفرق التي ألَّف فيها علماء المسلمين كتبًا يبينون فيها مذاهبهم وفرقهم؛ لأن كل فرقةٍ افترقت إلى فرق، وكثروا، وكفر بعضهم بعض، وضلل بعضهم بعض، ونُسي المنهج الذي ترك النبي عليه الصلاة والسلام عليه أصحابه.

يقول المقريزي في الخطب: كاد أن يُنسى ويُجهل منهج السلف بعد محنة الإمام أحمد بن حنبل في عهد العباسيين، بدءً من عهد المأمون العباسي ثم المعتصم ثم الواثق بالله، كاد أن يُجهل إلى أن ظهر في القرن السابع الهجري فجأةً بدمشق أحمد بن تيمية وصدع بالحق، ودعا إلى العودة إلى منهج السلف، لذلك إن ابن تيمية له فضلٌ عظيمٌ بعد الله في بقاء هذه العقيدة التي نحن عليها الآن، وكل سلفيٍ وكل كتابٍ بعده من آثاره، من آثار ذلك المجدد، الرجل -وفقه الله- لما علم بأن علم الكلام انتشر عكف على دراسة علم الكلام والمنطق والفلسفة وسلح نفسه بالسلاح الموجود في الوقت، فظهر فهو مستعدٌ أن يقابل كل فرقةٍ بلغتها وبعلمها وبفنها، هاجم الجميع وناقش الجميع وناظر الجميع، وأفحمهم جميعًا، كتبه التي ألف في الرد عليهم جميعًا موجودة بين أيدينا الآن، من هنا عاد كثيرٌ من الناس إلى الجادة.

ولكن جرت سنة الله إن الحق لا يظهر ولا يشيع بين الناس ويثبت إلا برجلين اثنين؛ أحدهما: الداعية الواعي الفاهم للمنهج الذي يصدع بالحق ويدعو إلى الحق ويجهر بالحق،

هذا حصل، بدءً بأحمد بن حنبل وثانيًا بأحمد بن تيمية، ولكن لم يقيض الله لهما المؤازر وهو الرجل الثاني، لظهور الحق وبقائه وانتشاره بين الناس لا بد من رجلين؛ الداعية الواعي الفاهم الذي يجهر بالحق، والمؤازر الذي يتبنى تلك الدعوة ويقف بجانبها ويدافع عنها حتى تظهر، ثم يتبناها لثبت بين العباد، هذا المؤازر لم يُقيض لابن حنبل ولا لابن تيمية، لذلك الذين استفادوا من تلك الدعوة ومن ذلك التجديد ليس بكثير، بل بعض العلماء الذين اطلعوا على كتب ابن تيمية التي بقيت في المنطقة الإسلامية، فهاجرت كتبه إلى الخارج، ذهبت كتب ابن تيمية إلى خارج البلاد الإسلامية، ثم أراد الله بعد أن عمت الجاهلية الجزيرة التي هي منبع النور، عمت الجاهلية، فعادت الجزيرة كالبلدان الأخرى شركٌ ووثنيةٌ وعبادةٌ للجن، بل عبادةٌ للقبور، عمت كل الجزيرة كما هو الوضع الآن في كثيرٍ من الأقطار في الخارج، حرك الله شابًا من قلب الجزيرة من بلاد نجد فخرج ابن عبد الوهاب، وهو طالب علمٍ صغير بعد أن عكف على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم مع دراسته على والده، فقد كان والده عالمًا وقاضيًا في البلد، مع ذلك عكف على كتب الشيخين واستفاد، فعرف واستنكر ما عليه بلاد نجد من الشركيات والوثنيات، ولكن كان يضمر في نفسه لأنه لا يستطيع أن يعمل شيئًا.

خرج حاجًا، فحجَّ، ثم عرَّج على المدينة، ومكث هنا في هذه المدينة فترةً طويلة، فدرس السنة، فقيض الله له بعض العلماء السلفيين، كعبد الله بن سيف المجمعي والشيخ محمد السندي وبعض العلماء السلفيين من علماء الحديث، أحبوه وقربوه وعلموه، وكان يستنكر ما يجري حول القبر الشريف، فيقول: ما هذا؟ فيقال له: مهلاً، وصبر وتعلم، وأخذ الإجازة في الصحيحين ومسند الإمام أحمد، ومسند الشافعي، وبعض الكتب التي درسها، فخرج الشاب فعرَّج على نجد فرأى ولم يتغير شيء، فسافر إلى البصرة، فدرس هناك فروع اللغة العربية على الشيخ المجموعي الذي تأثر بدعوته؛ شيخٌ تأثر بدعوة التلميذ، فأصبح داعيةً مثله يدعون الناس سرًا بين طلبة العلم والمحيط الذي هم فيه، إلى أن عُرف فأُخرج من البصرة، فعاد بعد رحلةٍ طويلة علمية واستفاد منها العلم ومعرفة الأوضاع الإسلامية

والشرك المنتشر والوثنية العامة، عرف كل ذلك فرجع فصدع بالحق وجهر بالدعوة إلى الله.

باختصار؛ هذه الدعوة أفادت التجديد الأول والثاني، كتب ابن تيمية وكتب ابن حنبل المنتشرة الآن بين أيدي الناس لم تُطبع ولم ترَ النور إلا في هذا العهد؛ في التجديد الثاني، طُبعت الكتب وانتشرت وفُتحت المدارس والمعاهد والجامعات، فقُررت في هذه المعاهد والمدارس والجامعات تلكم الكتب التي تدعو الناس إلى العودة إلى منهج السلف، فوفد طلاب العلم من أقطار الدنيا، فدرسوا المنهج السلفي في جامعاتنا الإسلامية مع شبابنا جنبًا إلى جنب، وتخرجت أعدادٌ كثيرة من أبناء المسلمين، ورجعوا إلى ديارهم، فانتشرت الدعوة شرقًا وغربًا، هذه الدعوة التي تحاول بعض الانتماءات أن تضغط عليها وأن توقف سيرها ولكنها قد انتشرت في العالم.

في دول غرب إفريقيا زرنا نحو خمس عشرة دولة متصلة، هناك مدارس أهلية تدرس نفس المنهج المقرر في مدارسنا ومعاهدنا الآن، ويحفظ الشباب كتاب التوحيد والأصول الثلاثة والأربعين النووية وكشف الشبهات، وعمدة الأحكام، شبابٌ صغار دون العشرين يحفظون هذه الكتب، ثم يمثلون الإسلام عقيدةً وعملاً، وقد يعيشون في دولٍ غير إسلامية ولكن تلك الدول عرفت الإسلام بواسطة هذه المدارس وأولئكم المدرسين، حتى أصبح لهم وزنٌ حتى عند الحكام غير المسلمين.

إذا شهد وهابيٌ لا تُرد شهادته، ألصقوا بهم لقب الوهابية غصبًا عليهم وهم غير راضين، ولكن صار هذا اللقب لقب مدحٍ؛ حيث أصبح من يحمل هذا اللقب محل ثقةٍ في المحاكم، وفي البيع والشراء، في الشهادات، وفي كل شيء.

الشاهد: هذا التجديد المبارك الأخير استفاد منه التجديد الأول والثاني فأصبح شبابنا مرتبطًا بسلفه الصالح في دراسته، يدرسون العقيدة السلفية الصافية التي هي مأخوذةٌ من كتاب ربنا ومن سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

ولكن هذا الوضع استمر دون تشويش ودون بلبلة إلى وقتٍ قريب، في مدةٍ لا تزيد على عشرين عامًا بدأ، ولما بدأ الانفتاح على العالم وجاء المدرسون والمهندسون والأطباء من كل الدنيا واختلطت الناس حصل تأثيرٌ من هؤلاء على بعض شبابنا وهُمس في آذانهم: الجماعة الفلانية، الانتماء الفلاني، وكلٌ يحكي ما عنده، ويلبس على شبابنا الذين نشأوا على الخير ولا يعرفون شيئًا من الشر، فصدق على شبابنا قول عمر رضي الله عنه: "إنما تُنقض عرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية"، صدق عمر رضي الله عنه لأنه ملهم.

شبابنا نشأوا في التوحيد، ونشأوا على العقيدة، ونشأوا على الخير، لا يعرفون شيئًا من الشر، لا يعرفون الصوفية، ولا يعرفون الماتريدية، ولا يعرفون الأشعرية، ولا الإخوانية، لا يعرفون شيئًا لا السرورية ولا غير السرورية، فجاء هؤلاء همسوا في آذانهم، وأملوا عليهم أسماء لهذه الانتماءات وأثروا في كثيرٍ منهم فضربوا بعضهم ببعض، فأصبح شبابنا اليوم مشوشين لا يدرون أين الحق.

ومما يؤسف له كان الواجب على شبابنا أن يرجعوا إلى علمائهم الكبار الذين درسوا عليهم، ويحسنوا بهم الظن، ويستفسروا كل ما يسمعون جديدًا، ولكن القوم حاولوا أن يشردوا شبابنا من حول علمائنا، قالوا: هؤلاء العلماء لا يعرفون الواقع، علماء جامدون، منهم من بالغ فقال: هؤلاء علماء الحيض والنفاس، لا يعرفون إلا أن يتحدثوا في أحكام الحيض والنفاس، انتقاصٌ للعلماء، الانتقاص لعلماء الإسلام انتقاصٌ للإسلام، هذه الفئة وهذه الانتماءات التي وصلت لهذه الدرجة انتشرت بين شبابنا اليوم، وأنا لا أستبعد أبدًا أن فتنة النساء وإن كان فيما يبدو لنا أن وراءها العلمانيون وأنواع المنحرفين من الكفار ومن المنتمين إلى الإسلام، ولكني لا أبرئ هذه الانتماءات أن يكون لها أصابع، أصابع خفية؛ لأن أصحاب هذه الانتماءات لا يريدون إلا الظهور، ليس لهم غرض إلا أن يظهروا على الشاشة –كما يقولون بأي وسيلة وبأي أسلوب، كثيرٌ من أصحاب الانتماءات لا حظ لهم في الإسلام إلا مجرد الاسم.

بل أقول بكل صراحة: جعلت بعض هذه الانتماءات الإسلام وسيلةً إلى غاية، وليس الإسلام هو الغاية عندهم، بل الإسلام وسيلة، وسيلةٌ لأي شيء؟ وسيلةٌ إلى السلطة، وهم عشاق السلطة، وخطاب الكراسي، إذا أرادوا أن يصلوا إلى السلطة وإلى كراسي الحكم لا يجدون وسيلةً محببة إلى قلوب المسلمين غير الإسلام، فأعلنوا بالإسلام، قالوا: الإسلام العظيم، الإسلام الحبيب، صحيح الإسلام عظيمٌ وحبيب، لكن هل يجوز لمسلمٍ أن يتخذ الإسلام وسيلةً لغايةٍ رخيصة ودنيئة السلطة؟

القوم شبهوا على الشباب، ولبّسوا عليهم، وأوهموهم قالوا: إنما يسعون لإقامة الولاية العامة، أما هذه الدويلة لا تصلح، لا فرق عندهم بين هذه الدولة الإسلامية الوحيدة التي تعتمد العقيدة الإسلامية السليمة وتحكِّم الشريعة، لا فرق عندهم بين هذه وبين سائر الدول على حدٍ سواء، إن لم تكن هذه أكره عندهم من غيرها، ولو جاء الإسلام بأي طريقة من غير طريقهم ما قبلوه، الإسلام الذي لا يأتِ من طريقهم غير مقبول، بل يزعمون أنهم يأتون بالإسلام بالمفهوم الجديد المعاصر وأن بعض النصوص يجب أن تُفهم من جديد بمفهومٍ عصريٍ غير المفهوم الأول، حتى أنهم اقترحوا تغيير بعض الأحكام، كالتفريق في الدية بين الذكر والأنثى، وعدم قتل المسلم بالكافر، كل هذه الأحكام يرون أنها يجب أن تُغير، ويُفهم الإسلام من جديد بمفهومٍ معاصرٍ جديد، وهل هؤلاء دعاة حقٍ؟ يدعون إلى الإسلام أو يدعون إلى التخريب؟

أولًا: زهدوا الشباب في العلماء، فصار شبابنا ينظرون إلى كبار العلماء أنهم لا يعرفون الواقع، عبارةٌ تقليدية لقنوهم، أي لا يعرفون السياسة، المراد بالواقع السياسة، لا يعرفون السياسة.

وحاولوا إضعاف الولاء بينهم وبين ولاة الأمر، فيريدون أن يكون الجو مبلبلاً ومشوشًا، ما دام هذا هدفهم لا تستبعد أن يكون لهم أصابع خفية من وراء هذه الفتنة.

ومن دسائسهم وسياستهم أنهم يحركون ثم يصرخون: الإسلام الإسلام، الإسلام الإسلام، الذي لا يعرف حقيقتهم ينخدع، يقول: ما شاء الله، هؤلاء لديهم غيرة عظيمة،

لماذا يسكت العلماء وهؤلاء هكذا يخطبون وهكذا يشرحون؟ أين العلماء؟ هذا ما يريدون، ولكن القوم صرختهم هذه الهدف منها ليسمع إخوانهم في الخارج الذين تحالفوا مع البعثين ومع العلمانيين وهم إسلاميون في زعمهم، حت تحصلوا على أصواتٍ في بعض البرلمانات في بعض الدول، بتعاونٍ مع القوميين والعلمانيين والبعثيين الذين كانوا يكفرونهم قبل ذلك، لكن لما رأوا أنهم ليس في إمكانهم أن يتحصلوا على الأصوات المطلوبة استعانوا بهؤلاء.

إذا كانوا أباحوا لأنفسهم، وهم الذين أطلقوا على أنفسهم الإسلاميون، الجماعة الإسلامية، أباحوا لأنفسهم الاستعانة بالبعثيين والعلمانيين والقوميين ليصلوا إلى الكراسي، حتى استبعدونا، أن يتعاونوا مع العلمانيين ليحركوا الجو وليشوشوا عندنا، لا تستبعد أبدًا، ولا تنخدع بالخطب الرنانة التي تحرك الشباب، ويقول الشباب: ما شاء الله، هؤلاء هكذا يخطبون أين العلماء؟ العلماء لم يسكتوا، ولكن العلماء يعرفون كيف يتكلمون ومتى يتكلمون، ومع من يتكلمون، وفي أي جوٍ يتكلمون، وبأي أسلوبٍ يتكلمون، يعرفون ذلك، العلماء ليسوا بطائشين حتى يصعدوا على المنابر فيسبوا ويشوشوا، ليس هذا أسلوب العلماء، العلماء يتكلمون بعقل وتريث، وفي مجالس خاصة، ويعرفون كيف يقدمون النصائح، ويعرفون حكم الإسلام من الولاة الدعوة لهم وتقديم النصح لهم بأسلوبٍ مناسب لا جعجعة فيه.

فليفهم شبابنا أن علماءنا لم يسكتوا، عملوا ما لم يعمل هؤلاء، هذه الثرثرة ليست هي العمل، الثرثرة والجعجعة مشوشة، ليست هي العمل والعمل شيءٌ آخر، والعلماء عملوا، وظننا في حكامنا أنهم لن يسكتوا –إن شاء الله– على أن تمر هذه الفتنة كما جاءت، ولا بد أن تكون لها عاقبةٌ ترضي المسلمين وتحزن المشوشين، هذا ظننا –إن شاء الله–، لعل الله أن يحقق ذلك.

الشاهد: على شبابنا أن يتريثوا، وألا ينخدعوا بهذه الأساليب المثيرة، وأن يعلموا لعلمائنا قدرهم ومكانتهم، لو لا الله ثم مجهود العلماء لدقت الفتن والعقائد الفاسدة

والأخلاق المخربة إلى هذا البلد منذ زمنٍ طويل، ولكن التعاون الذي يتم دائمًا بين العلماء وبين ولاة الأمور في عقلٍ وتؤدةٍ وتريثٍ وبدون جعجعة، هذا الأسلوب هو الذي نعهد في علمائنا وفي حكامنا، فنرجو أن يُوفقوا ليقفوا أمام هذه الفتنة التي هي تجربة للأداء، يريدون أن يجربوا جونا، فنرجو أن تكون هذه التجربة فاشلة لديهم.

وقد سرني جدًا بعض الخطباء الذين هم من الشباب الذين خطبوا عقب الحادث لما وقع الحادث في يوم الثلاثاء كان الخطباء يوم الجمعة أكثرهم وُفقوا في إنكار ذلك المنكر، والذي أعجبني من ذلك خطبة شابٍ ولكن للأسف لا أدري من أي مسجدٍ في الرياض، وكانت الخطبة مثيرة، وفي آخرها قدم نصيحة للشباب، قال: أرجو ألا تحملكم الغيرة الشديدة على استعمال أساليب لا تُحمد عقباها، كما أرجو أن تكونوا حول علمائكم وتستفيدوا من علمائكم، قدم نصائح في عشر نقاط، ولكن لم أعرف هذا الخطيب الموفق، وهو يظهر من صوته أنه شابٌ ولو علمته لقمت بزيارته.

نرجو من شبابنا أن يكون فيهم هذا الطراز، وألا يكونوا مخدوعين بهذه الأساليب المثيرة، التي تحاول أن تبعدهم من علمائهم، ولا خير في طلاب العلم ولا في الشباب إذا ابتعدوا عن العلماء وأساؤوا الظن بهم.

ومما قال ذلك الشاب في خطبته النصيحة التي قدمها للشباب: ألا يأخذوا العلم من بطون الكتب، هذا ما نقوله دائمًا ونقرره أمام الشباب، وأن يأخذوا العلماء من العلماء، وأن يختاروا من العلماء من يرون أنه أثريٌ سنيٌ وليس بمتعصب.

الشاهد: نحن الآن نعيش في وقتٍ عمت البلبلة وتشوش شبابنا، وأساؤوا الظن بكثيرٍ من علمائنا، عليهم أن يتأنوا، ولا يستعجلوا، وعلى الجميع أن يلتجؤوا إلى الله بالدعاء الخالص في سجودهم، في أوقات الإجابة، بأن يسكن الله هذه الفتنة ويقينا شرها، ويحافظ علينا وحدتنا ونعمة الإسلام، هذا الشعب وهذا المجتمع عاش ولا زال يعيش وحدةً إسلاميةً لا يعرفون غير الإسلام، ولا يعرفون الأحزاب، ولا يعرفون الطوائف، ولا

يعرفون الجماعات ولا يعرفون الانتماءات، ذلك هو الخير، وما دب إلى صفوف شبابنا الآن من هذه التحزبات والجماعات والانتماءات شرٌ كله لا خير فيه.

فليعلم شبابنا ذلك وهم يتفاوتون فيما بينهم، وأنا كما قلت في بعض الدروس السابقة: أنبه شبابنا على هذا الانتماء الكبير الذي حاول أن يحصر مفهوم الإسلام في جماعةٍ معينة، فيقولون: الإسلام ما عليه جماعة المسلمين، وقد صرح بهذا دكتورٌ كبير من زعمائهم، فيقول: إنما يمثل الإسلام اليوم الإخوان المسلمون والجماعة الإسلامية في باكستان، ثم من الثالث؟ الخُمينيون. الله المستعان. لتعلموا أن هذا الانتماء حليفٌ مع الروافض، بينهم وبين الروافض حلفٌ، وقد ذهبوا وهنأوا ذلك الزعيم، وصلوا على أرواح الشهداء، أي شهداء؟ شهداء أحد؟ شهداء بدر؟ على أي شهداء؟ شهداء الروافض ووقفوا معهم وقفةً حزينة أوروبية، الله المستعان.

ومع هذا كله يرون أن الإسلام هو ذلك المفهوم الذي هم عليه، وأن جميع المسلمين الذين لم ينضموا إلى ذلك الانتماء -أو على الأقل لم يتعاطفوا معهم- ليس بمسلم، المسلم من دخل في إطار الجماعة، أو صفق للجماعة، أو تعاطف مع الجماعة، ذلك هو المسلم، أما بقية المسلمين فليسوا بمسلمين، يريدون في زعمهم أن يدخلوا جميع المسلمين في هذا الإطار الضيق، ليكسبوا اسم الإسلام بعد ذلك، هذه خيبة الأمل.

حسن البنا عند ما بدأ دعوته ما كان هذا هدفه، حسن البنا رجلٌ مسلم، فرأى جو الشباب جوًا فاسدًا، كان الشباب في المنطقة التي بدأ فيها دعوته لا يعرفون المساجد وإنما يعيشون في المقاهي والبارات، فدخل الرجل عليهم في البارات فأخرجهم من البارات، ومن المقاهي، وعرَّفهم طريق المسجد وعرَّفهم الإسلام، وإن لم يكن عالمًا وإمامًا كبيرًا كما يزعمون، بل كان مثقفًا عاديًا، وهناك كبار العلماء من الأزهريين ولكن لم يفعل أحدٌ كما فعل حسن البنا في صفوف الشباب، إلا أن ذلك العمل الذي بدأه حسن البنا لم يستمر، مات بموته، هذا شأن كل تجديدٍ اجتهادي.

التجديد تجديدان؛ التجديد الذي معناه دعوة الناس بعد أن يبتعدوا عن الجادة، دعوة الناس ليعودوا إلى الكتاب والسنة، وليعملوا بالكتاب والسنة، هذا التجديد لا يموت بموت صاحبه، لأن القاعدة باقية، الإسلام الذي دعاهم إليه باقي، العقيدة باقية.

ولكن التجديد الاجتهادي كتجديد حسن البنا وأمثاله يموت بموت المجدد، هذا الذي حصل بالفعل، ولم يبقَ بعده إلا الاسم، اختلفت المناهج، وكثر الزعماء، وكلٌّ يضع لوائح خاصة بجماعته، إلى أن صاروا فصائل شتى كفرق أهل الكلام والصوفية الذين تفرقوا إلى فرق، ثم زعموا أن الإنسان ينبغي أن يموت وفي عنقه بيعة أخذًا من الحديث الصحيح، هذا صحيح لكن البيعة لمن؟ البيعة لشيخ قبيلة؟ لشيخ الطريقة؟ لرئيس التنظيم؟ ولا البيعة لمن؟ البيعة للإمام المسلم الذي اجتمعت عليه كلمة المسلمين، ويحكم الشريعة بين المسلمين، الحاكم العام للمسلمين هو الذي له البيعة، أما رئيس طائفة، رئيس تنظيم، شيخ طريقة، مدرس ما لهم بيعة.

مع هذا كله لو أنهم قدموا لشبابنا المبايعة لهم، غضنفر بن أسد واقف أمامهم بايعوه معقول، لكن أين المبايع له؟ غير موجودة، لذلك تؤخذ البيعة سرًا لا علنًا في ظلام الليل، لأن المبايع له غير موجود وهمي، هذه البيعة فاسدة ومضللة ومشوشة، بهذا دخلوا على شبابنا، قالوا: يجب أن يكون كل مسلم في عنقه بيعة.

أيها الشباب؛ في أعناقكم بيعة للدولة الإسلامية تحكم بالإسلام، وتنشر العقيدة بينكم وبين غيركم، أنتم في خير وفي دولةٍ إسلامية، وتحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ليست مجرد خرقة خضراء مكتوب عليها هذا اللفظ، لا، مطبقة، لا تدعون إلا الله، لا تعبدون إلا الله ولا تشركون به شيئا، طبقتم ما في رايتكم في عملكم، ودعوتم الناس إلى ذلك، ماذا تريدون بعد هذا؟ على أي شيءٍ تبايعون المجهول؟ وهذا الذي يعرض عليكم البيعة ليس له من الإسلام إلا مجرد الاسم، فهو مسلم بشهادة الميلاد، لم يدرس الإسلام، مدرس الخط، مدرس العلوم، مدرس الرياضيات، يضللكم، أنتم الذين درستم العقيدة من المرحلة الابتدائية إلى حيث أنتم! في المعاهد الثانوية وفي الجامعات كيف يضللكم

جاهلٌ لا يعرف إلا كتابة الخط، إلا الرضيات والعلوم؟ لم يدرس من الإسلام شيئًا، أنتم أعلم منه، يضحك عليكم ويضرب بعضكم ببعض، ويشردكم من حول علمائكم، ويفسد الولاء بينكم وبين حكامكم، بينما أنتم على خير، هؤلاء حساد حسدوكم على ما أنتم عليه من سلامة العقيدة وتحقيق الشريعة والوحدة الإسلامية الكبرى التي أنتم عليها، تعلمون ذلك، يجب أن تعلموا ذلك وتحافظوا على عقيدتكم، وعلى إسلامكم، وعلى وحدتكم الإسلامية، هذا هو الواجب عليكم، هذه كلمة نصيحة أقولها صراحةً في كل مكان، لأني خائفٌ قلقٌ من وضع شبابنا جدًا؛ لما أرى من هذا التشويش الذي يزداد يومًا بعد يوم.

وهؤلاء المشوشون عند ما تحدث مثل هذه الفتن؛ فتنة النساء يفرحون بذلك، يحصل هذا التشويش وينتهزوه، وهم انتهازيون، ليطعنوا في العلماء وفي الآخرين بسبب حدوث هذه الفتنة: هم تساهلوا، أين هم؟ أين العالم الفلاني؟ لماذا لم يفعل العالم الفلاني كيت وكيت؟ يجب أن يفعل ويقدر أن يفعل، شبابنا يسمعون هذه الجعجعة ويتشوشون ويسيئون الظن بعلمائهم، لذلك أكرر في كل مناسبة هذه النصيحة، فأرجو أن تكون مقبولةً، وليس لنا هوىً في أحدٍ بحمد الله تعالى، وبالله التوفيق.

س: ما حكم الذهاب إلى بلاد الكفر والمكث فيها مع العلم بأن المسلم يستطيع إقامة الدين؟

ج: إن تضايقت بعض الجماعات المتمسكة بدينها وإسلامها وعقيدتها، في بعض البلدان العربية والإسلامية التي تضغط كثيرًا على المتمسكين بالإسلام، لو خرجت جماعةٌ من تلك البلدان فذهبت إلى فرنسا، وأنشأوا هناك جماعةً إسلاميةً سلفيةً فبنوا المساجد وأنشأوا المدارس وأقاموا هناك تعتبر هذه المنطقة وتلك المدينة مدينة الإسلام ودار الإسلام.

الذي قلته الآن هو الواقع؛ توجد جماعةٌ من المغاربة ذهبوا إلى تلك الديار، فحولوا مدينةً في فرنسا إلى مدينةٍ عربيةٍ إسلامية، وهم على اتصالٍ بنا يأتون في الحج كثيرًا، لهم

مدارس، ولهم مساجد، حكم تلك المدينة أنها دار إسلام لهم أن يعيشوا هناك، ويستطيعون أن يظهروا شعائر دينهم هناك أكثر مما يظهروا في بلادهم الأصلية، هذا الواقع.

أما أن يذهب زيدٌ من الناس لطلب المعيشة في فرنسا، وبريطانيا، وأمريكا، ويعيش في مؤسسةٍ كافرة يديرها جورج، وجورج يتسلط على هذا المسلم فيقول له: لا تصلِ الصلوات كلها إلا في الليل، الجمعة لا تصلِ، لأن الجمعة ليس عطلة عندنا، عطلتنا يوم الأحد والجمعة تعمل، الظهر والعصر والمغرب لا، تصليها كلها في الليل، ويقف هذا المسلم أمام جورج خاضعًا متذللاً يقول: يا سيدي، يا سيدي، هذا حياته هناك حرام وذلة، يتنافى مع قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، هذا باع عزته بالمعيشة، وكونه يترك تلك المعيشة ولو كانت تدر عليه مبالغ من المال، يتركها ويعيش فقيرًا في بلدٍ إسلاميٍ يعبد الله بحريته هذا هو الواجب عليه.

والذي أقوله لأختم به كلامي: على كل مسلمٍ في هذه الأيام أن يلتجئ إلى الله، كما التجأنا إلى الله في مثل فتنة الكفار الموجودين في بلادنا، وفتنة صدام حسين، يجب أن نلتجئ إلى الله من فتنة هذه الانتماءات، وعند من له تجربة شر هذه الانتماءات أخطر على شبابنا من تلك الشرور، فلتفهموا هذا، ولكن لا يجوز لنا أن نعتمد على الأسباب المادية وننسى الله تعالى، ويجب أن نلتجئ إلى الله، لينقذنا مما نحن فيه، ويفرج عنا هذا الكرب بجميع أنواعه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وآله وصحبه.